ولا تقطعوها فتريد المبالغة في الامر والنهي ولهذا قوله ثانيا ولا تبخسوا الناس اشياءهم فليس بتكرير ايضا لانه تعالى لما
خص والنهي عن التنقيص والامر بايفاء الحق في الكيل والوزن عم الحكم في جميع الاشيا التي يجب ايفاء الحقوق فيها فيدخل فيه
الكيل والوزن والزرع وغير ذلك فظهر بهذا البيان فائدة هذا التكرار والله اعلم وقوله ولا تعثوا في الارض مفسدين يعني
بتنقيص الكيل والميزان ومنع الناس حقوقهم بقيت الله خير لكم قال ابن عباس يعني ما ابقى الله لكم من الحلال بعد ايفاء
الكيل والوزن خير لكم مما تاخذونه بالتطفيف وقال مجاهد بقيت الله يعني طاعة الله خير لكم مما يحصل لكم في الدنيا من المال
الحرام ان كنتم مؤمنين يعني مصدقين بما قلت لكم وامرتكم به ونهيتكم عنه وما انا عليكم بحفيظ يعني احفظ اعمالكم قال بعضهم
انما قال شعيب ذلك لانه لم يؤمر بقتالهم قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا يعني من
الاصنام او نفعل في اموالنا ما نشاء يعني من النقص والزيادة قال ابن عباس كان شعيب كثير الصلاة فلذلك قالوا هذا
وقيل انهم كانوا يمرون به فيرونه يصلي فيستهزءون به ويقولون هذه المقالة وقال الاعمش اقراتك لان الصلاة
تطلق على القراءة والدعاء وقيل المراد بالصلاة هنا الدين يعني ادينك يامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل
في اموالنا ما نشاء وذلك انهم كانوا يقصون الدراهم والدنانير فكان شعيب ينهاهم عن ذلك ويخبرهم انه محرم عليهم
وانما ذكروا الصلاة لانها من اعظم شعائر الدين انك لانت الحليم الرشيد قال ابن عباس ارادوا السفيه الغاوي لان
العرب قد تصف الشي بضده فيقولون للديغ السليم وللفلاة المهلكة مفازة وقيل هو على حقيقته وانما قالوا ذلك
على سبيل الاستهزاء والسخرية وقيل معناه انك لانت الحليم الرشيد في زعمك وقيل هو على بابه في الصحة ومعناه
انك يا شعيب فينا حليم رشيد فلا يحمل بك شق عصا قومك ومخالفتهم في دينهم قال يعني قال لهم شعيب يا قوم
ارايتم ان كنت على بينة من ربي يعني على بصيرة وهداية وبيان ورزقني منه رزقا حسنا يعني حلالا وقيل كان
شعيب كثير الحلال والنعمة وقيل الرزق الحسن ما اتاه الله من العلم والهداية والنبوة والمعرفة وجواب ان
الشرطية محذوف تقديره ارايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني المال الحلال والهداية والنبوة والمعرفة
فهل يسعني مع هذه النعمة العظيمة ان اخون في وحيه وان اخالف امره واتبع الضلال وابخس الناس اشياءهم
وهذا الجواب شديد المطابقة لما تقدم وذلك انهم قالوا له انك لانت الحليم الرشيد والمعنى فكيف يليق
بالحليم الرشيد ان يخالف امر ربه وله عليه نعم كثيرة وقوله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه قال صاحب
الكشاف يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل
صادرا عن الماء فتسئله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد انه ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله
تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم قال
الامام فخر الدين الرازي في تحقيق الكلام فيه ان القوم اعترفوا بانه حليم رشيد وذلك يدل على كمال العقل
وكمال العقل يحمل صاحبه على اختيار الطريق الاصوب الاصلح فكانه عليه السلام قال لما اعترفتم بكمال عقلي فاعلموا
ان الذي اخترته لنفسي هو اصوب الطرق واصلحها وهو الدعوة الى توحيد الله وترك البخس والنقصان فانا مواظب
عليها غير تارك لها واعلموا ان هذه الطريقة خير الطرق واشرفها الا ما انتم عليه وقال الزجاج معناه اني لست انهاكم
عن شي وادخل فيه انما اختار لكم ما اختار لنفسي وقال ابن الانباري بين ان الذي يدعوهم اليه من اتباع طاعته
وترك البخس والتطفيف هو ما يرتضيه لنفسه ولا ينطوي الا عليه وكان هذه النصيحة لهم ان اريد يعني
ما اريد فيما امركم به وانهاكم عنه الا الاصلاح يعني فيما بيني وبينكم ما استطعت يعني ما استطعت الا الاصلاح
وهو الابلاغ والانذار فقط ولا استطيع اجباركم على الطاعة لان ذلك الى الله تعالى فانه يهدي من يشا
ويضل من يشا وما توفيقي الا بالله التوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة على العبد ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى

فلذلك

فلذلك قال وما توفيقي الا بالله عليه توكلت يعني على الله اعتمدت في جميع اموري واليه انيب يعني واليه ارجع فيما
ينزل من النوائب وقيل اليه ارجع في معادي وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا ذكر شعيبا قال
ذلك خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وقوله تعالى ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي اي لا يحملنكم خلافي وعداوتي
ان يصيبكم يعني عذاب العاجلة على كفركم وافعالكم الخبيثة مثل ما اصاب قوم نوح يعني الغرق او قوم هود
يعني من الريح التي اهلكتهم او قوم صالح يعني ما اصابهم من الصيحة حتى هلكوا جميعا وما قوم لوط منكم ببعيد
وذلك انهم كانوا حديثي عهد بهلاكهم وقيل معناه وما ديار قوم لوط منكم ببعيد وذلك انهم كانوا جيران قوم
لوط وبلادهم قريبة من بلادهم قوله واستغفروا ربكم يعني من عبادة الاصنام ثم توبوا اليه يعني من
البخس والنقصان في الكيل والوزن ان ربي رحيم يعني بعباده اذا تابوا واستغفروا ودود قال ابن عباس
الودود المحب لعباده المؤمنين فهو من قولهم وددت الرجل اوده اذا احببته وقيل يحتمل ودود ان يكون
فعول بمعنى مفعول معناه ان عباده الصالحين يودونه ويحبونه لكثرة افضاله واحسانه اليهم وقال
الحليمي هذا قد قيل هو الواد لاهل طاعته اي الراضي عنهم باعمالهم والمحسن اليهم لاجلها والمادح لهم بها
وقال ابو سليمان الخطابي وقد يكون معناه ان يودهم الى خلقه قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول
يعني ما نفهم ما تدعونا اليه وذلك ان الله ختم على قلوبهم فصارت لا تعي ولا تفهم ما ينفعها وان كانوا
في الظاهر يسمعون ويفهمون وانا لنراك فينا ضعيفا قال ابن عباس وقتادة كان اعمى قال الزجاج ويقال
ان حمير كانوا يسمون المكفوف ضعيفا وقال الحسن وابو روق ومقاتل يعني ذليلا قال ابو روق ان
الله تعالى لم يبعث نبيا اعمى ولا نبيا به زمانة وقيل كان ضعيف البصر وقيل المراد بالضعف العجز عن
الكسب والتصرف وقيل هو الذي يتعذر عليه المنع من نفسه ويدل على صحة هذا القول ما بعده وهو
قوله تعالى ولولا رهطك يعني جماعتك وقيل عشيرتك وقيل الرهط ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى سبعة
لرجمناك يعني لقتلناك بالحجارة والرجم بالحجارة اسوا القتلات واشرها وقيل معناه لشتمناك واغلظنا
لك القول وما انت علينا بعزيز يعني بكريم وقيل بمنيع ما والمقصود من هذا القول وحاصله انهم بينوا لشعيب
عليه السلام انه لا حرمة له عندهم ولا وقع له في صدورهم وانهم انما لم يقتلوه ولم يسمعوه الكلام الغليظ
الفاحش لاجل احترامهم رهطه وعشيرته وذلك لانهم كانوا على دينهم وملتهم ولما قالوا لشعيب عليه
السلام هذه المقالة اجابهم بقوله قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله يعني اهيب عندكم من الله وامنع حتى
تركتم قتلي لمكان رهطي لان الله تعالى اعز واعظم واتخذتموه وراءكم ظهريا يعني ونبذتم امر الله وراء ظهوركم وتركتموه
كالشي الملقى الذي لا يلتفت اليه ان ربي بما تعملون محيط يعني انه عالم باحوالكم جميعا لا يخفى عليه منها شي فيجازيكم
به يوم القيامة ويا قوم اعملوا على مكانتكم يعني على تؤدتكم وتمكنكم من عملكم وقيل المكانة الحالة والمعنى
اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة من الشر اني عامل يعني ما اقدر عليه من الطاعة
والخير وهذا الامر في قوله اعملوا فيه وعيد وتهديد عظيم ويدل عليه قوله سوف تعلمون قلت ادخال
الفا في قوله فسوف تعلمون وصل خفي تقديره بالاستيناف الذي هو جواب لسوال مقدر كانهم قالوا
فما يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت فقال سوف تعلمون يعني عاقبة ذلك توصل تارة بالفا
وتارة بالاستيناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغا العرب واقوى الوصلين وابلغهما الاستيناف
وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه والمعنى فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه بسبب
عمله السي وايتا الشقي الذي ياتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب يعني فيما يدعيه قوله وارتقبوا يعني

Copyright © King Saud University